

﴿الفقير المعلوم﴾

اذا كان لا يذم الامي الغني لجهل القته فيد يد القدر وحكم القضاء ولا يعجب بالانسان وهبته الطبيعية عند الميلاد وفور العقل وحدة الذكاء ولا يعاب الضعيف على هزال ورثته عن الابوين ولا يفضل القوي خلق شديد الساعدين ولا يمدح الغني على مال احرزه بالغش والحرص والحرمان فلا يلام الفقير اذن على اعسار ساقته اليه صروف الحداث لان الذي نتوهمه من ذلك حسنة لم يكن عن فضل حقيقي يستاهل الشكر والمدح ولا كان الذي نعتبره نقيصة في نظرنا عيباً حاصلاً يستحق صاحبه الذم القبيح بل من الذي لا يتنى بين هذه الخلائق كلها ان يولد وافر الثروة عريض الجاه واسع المدارك مفتول العضد شديد الذكاء والانتباه

ألا انما يلام الفقير على ضيق ذنت يد جره اليه بيده والذي كان مثيراً في امسه فاصبح مفلساً في غده ثم عاد يجرد ذبول الفاقة والفقر بعد ذبول الغنى والوفر ويبسط الراحة للاستعطاء بعدما كان يبسطها للعطاء ويحيي الليل موصولاً بالنهار لا اكتساب ما يسد الرق على النفس وقد كان يحبيه بين اسباب السرور وملاهي الطرب والانس ويبذل ماء الوجه في التماس القوت صاغراً وقد كانت عنده الدنانير يذللها بلا حساب في الليلة الواحدة مفاخراً دون ان يقوم اسراف تلك الحال فدى يشنع دون عار هذا الاذلال

ويلام الفقير المخلد الى الاهمال والكسل ان عمل يوماً اقام شهراً بلا

عمل وان نهض الى شغل اقمته عنه الهمة الخائرة والعزيمة الفاترة وان طالت نفسه الى شأن قصرت عنه الخيلة الكافية والمدارك الناصرة ثم يلام على الخلال السمجة التي تزيد في اعين الملاء فوق فقره فقرا وعلى الاخلاق الفاسدة الدنيئة تضاعف كراهة الناس له وهو احوجهم به برا

والحقيقة ان من راقب احوال الناس في معاملاتهم وعلاقاتهم ومعايشهم بعضهم مع بعض ودرس اخلاقهم وطبائعهم وجد ان هذه المجافة التي تصيب الفقير غالباً من ميسوري الحال وهذا الاستعلاء عليه والتجنب له لم يكن منشأوها من نفس عيب الفقر والاحتياج بل كانا على الاغلب مما يصحبهما (لان المصائب لا تأتي فرادى) من عيوب اخرى هي مجلبة ما نراه واقعاً على الفقير من اسباب الجفاء والاعراض لاننا اذا اعتبرنا ان لا شيء ادعى لتنبه عواطف الرحمة والاشفاق حتى في قلب العدو لعدوه مثل وقوع البلاء والمصائب كان الفقر وهو اشد البلايا وقعاً خيراً ما يبعث تلك العواطف الكريمة وتلك الشعائر الرقيقة في القلوب مما يكون اكبر معين على تخفيف ويلات الفقر لولا ما قدمنا من العيوب التي تصحبه والتي هي في عين الحقيقة سر ما يجرد وراءه من اسباب الشقاء وابلغ برهان على صحة هذا الامر ما تلقاه من محبة الناس وانعطافهم على الفقير المهذب الاديب حتى يكون فقره مع غنى ادبه وكرم اخلاقه اجل كرامة في اعين الناس من كل غنى

ومما يؤخذ على الفقير الكبرياء فقد تلقاه غارقاً الى قاع الفقر وانفذه الى السماء زاحقاً على حضيض المسكنة وهو يحاول ان يخلق في العلاء ثم يتنعل الارض حافياً ويلبس الخلخال ويتخطر تشبهاً بالغني وهو يخاطر في بال فهل غاب عنه انه الفقير الضعيف المحتاج الى بر الناس فما يفيد الا

الاتضاع وانه الدليل الوضيع فما يضعه مثل محاولة الارتفاع ثم القنطرة فهو يلبس الثوب فلا يخلعه حتى يبلى وقد التصق بجسمه اطول العهد ويعيش العسر فلا يباشره الماء الا يوم يولد في المهد ويوم يوضع في اللحد ان مرض راح يسير بين الناس بدمامله وقروحه كانه راي من طيب اخلاقه ما يدعو الناس الى الالتفاف حوله فنفرهم عنه بشيء من خيث ريجحه بالله أيعمي الفقر القلب والبصيرة الى حد انه يسد دوت الانسان منهاج الخير وسبل الرشاد وموارد الهدى وحتى لا يعود يميز بين خالق يقربه من الناس ومحبيه اليهم ويستعطفهم على حاله وخلق يكون اشد بلاء عليه من بلاء الفاقة والعسر

نحن لا نلوم الفقير لانه يلبس الثياب المرقعة وانما نلومه اذا لبسها وسخة قدرة والماء مباح لديه لا يحتاج مره الا الى قليل من الهمة والارادة لغسل تلك الثياب وتحويلها من اللون القاتم المظلم الى لون ابيض نقي ومن تلك الرائحة النتنة الى رائحة طيبة . ان هذا الغني لا يأفف من مجالسة الفقير لانه بالي الاثواب ولا يتبرم منه لو زاره لان ثيابه مرقعة بل يتجهمه لان حاله توهم النفس والعين ولانه يخشى على نفسه من انتقال شيء اليه مما يعلق فيها من الجرائم والافساخ ثم ماوراءها من العلل والامراض اذا سرت اليه عدواها ونحن لا نلوم الفقير لانه يمرض وتنتابه العلل وانما نلومه على وجود اطباء تعالجه مجاناً وهو يهمل امر علاجه ولانه بدلا من ان يستر عورات فقره يزيدا يده ظهوراً لدى الناس

ان بين الفقر وهذه العيوب التي ذكرناها بونا بعيداً واذا كان قيل ان الفقراء لهم الجنة فقد قيل ايضاً ان النظافة من الايمان فمن لانظافة عنده

لا ايمان له ومن لا ايمان عنده فمحال دخوله الجنة

« حنا سر كيس »



﴿ اختلاف العقول ﴾

لئن تشابه الناس كثيراً في تكوينهم وطبائعهم الغريزية وكل ما كان من الحلقة القطرية لقد اختلفوا جداً في شؤون معاشهم واحوالهم الظاهرة وكل ما جاء من عند حالات النفس المكتسبة حتى لقد يكاد كل انسان يكون من هذا الوجه عالماً منفرداً بذاته وكوناً مستقلاً في حيزه وذلك لعظم ما يجده من الاختلاف بين افراد الناس وقيام كل واحد منهم عند حد معروف . بل نحن من هذه الناحية لا يكاد الواحد منا يشبه اخاه في شيء بالاطلاق فكنا مختلفون في نفوسنا وعقولنا كاختلافنا في وجوهنا وسخائنا وهو شأن يوشك الانسان ان يكون منفرداً بالاختلاف فيه عن سائر انواع الموجودات الحية

فنحن قد نرى الانسانين من موطن واحد وقبيلة واحدة بل نجد ههنا نفس المنزل وذات العيلة فترى احدهما يباين الآخر في نفسه مباينة شديدة ويغايره في خلقه وحاله مغايرة كثيرة ونعاين هذا في حالة قد سرت وسرت مشاهديه وذلك في صفة قد منعت عنه سروره واحزنت من اجله ارائيه فهل كان ذلك عن قضاء لا حيلة له فنقول لاراد لقاضيه ام هو قد كان من الانسان نفسه وهو ما نعجب له ونبحث فيه